



عصر الجمهورية

تذكر الاسطورة أن تغييراً في البناء السياسي لدولة روما قد حصل اثر انقلاب حدث ضد الملكية عام ٥١٠ ق. م وتؤكد الوثائق والقرائن التاريخية حدوث ذلك الانقلاب اذ يعتقد أن الملك الأخير اضطهد الشعب وان التصرفات القاسية لابنه دفعت الشعب الى الثورة فابعدت الاسرة الملكية عن روما والغى النظام الملكي وبدلاً من الملك الذي كان يحكم مدى الحياة اختار الرومان قنصلين لمدة سنة وربما كان ذلك الانقلاب جزءاً من حركة عامة شملت اجراء اخرى من ايطاليا (١) و كان القناصل الأوائل ملوكاً في صلاحياتهم عدا فترة حكمهم المحدودة حيث كانوا يدعون الجمعية للاجتماع ويأمران بحلها متى شاءوا ذلك. وهم وحدهم السدين كانوا يقترحون الإجراءات ويرشحان كبار الحكام ويملآن الشواغر في مجلس الشيوخ ويحكمان المدينة في السلم ويقودان الجيش في الحرب (٢). ومع ذلك ظهرت ثلاثة ضوابط في سلطة القناصل، إذ كان أي من القنصلين قادراً على نقض قرار القنصل الآخر وكان القنصلان معرضين للمحاسبة بعد انتهاء مدة حكمهما السنوية من لدن الجمعية المثوية ومجلس الشيوخ عن اعمالهما خلال مدة حكمهما والضابط الثالث هو ان الفترة القصيرة لحكم القناصل تجعلهما يعتمدان الى حد كبير على خبرة ونصائح مجلس الشيوخ ذي السلطة الدائمة (٣) وان اقتسام السلطة بين القنصلين قد يشكل خطراً على المدينة

(١) نصحي م. س. ١٠ ص ٨٧.

(2) Betten, Op. cit. p. 327.

(3) Ibid, p. 328.

عند حدوث الأزمات كالحرب مثلاً فتوحد عندها السلطة بشخص واحد يعرف بالدكتاتور له سلطة ملك ولكنها مؤقتة بستة أشهر.

كان الدكتاتور سيد روما المطلق له سلطة الحياة والموت على المدينة والجيش ولم يكن مسؤولاً عن أعماله بعد انتهاء مدة حكمه.

ان معلوماتنا عن العصر الملكي محدودة وتقتصر على الأساطير والأدلة الأثرية فإن مصادر معلوماتنا عن عصر الجمهورية بدأت تزداد وتتعدد بشكل مطرد مثل قوانين اللوحات الاثنتي عشرة التي صدرت في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد والمعاهدات التي كانت تعقدتها روما مع المدن الأخرى اذ كانت نصوص تلك المعاهدات تحفر على الواح من البرونز وتوضع على تل الكابيتول وقد ظلت نصوص عدد من المعاهدات فترة طويلة بحيث وصلت إلينا نصوصها عن طريق المؤرخين الرومان مثل المعاهدة التي عقدت مع العصبة اللاتينية سنة ٤٩٣ ق. م والمعاهدتين اللتين عقدتهما روما مع قرطاجه في اواخر القرن السادس ومنتصف القرن الرابع قبل الميلاد ومن تلك المصادر القرارات التي كانت تصدرها الجمعيات المثوية والتبالية اذ كانت تلك القرارات تحفر على البرونز وتودع في المعبد وكذلك قرارات مجلس الشيوخ، ومن مصادرنا عن عصر الجمهورية سجلات المحاكم وكبار الكهنة مثل قوائم الاحصاء والقوائم السنوية للمحاكم وحوليات كبار الكهنة فضلاً عن الأساطير وروايات الاسر الارستقراطية ثم بدأ منذ القرن الثاني قبل الميلاد المؤرخون السروماني والاغريق بتدوين الاحداث التاريخية (١)

وبالامكان ان نقسم تاريخ روما في عصر الجمهورية الى ثلاث فترات :

١ - فترة الصراع الطبقي بين العامة والنبلاء والذي دام قرناً ونصف ٥١٠

- ٣٦٧ ق. م.

(١) عن مصادر هذه الفترة راجع نصحي م. س. ج. ١ ص ١٠٢ - ١١٠ .

٢ - فترة توحيد إيطاليا والنزوح الخارجي الذي دام من ٢٦٧ حتى ١٤٦

ق . م .

٣ - فترة الصراع الداخلي الذي دام من ١٤٦ وحتى ٤٩ ق . م .

صراع الطبقات

بدأ بعد إلغاء الملكية صراعاً متواصلاً بين طبقات المجتمع الروماني دام قرابة قرن ونصف من فترة عصر الجمهورية وكان ذلك الصراع بشكل رئيسي بين العامة plebeians من جهة وبين النبلاء patricians من جهة أخرى ~~انشغلت روما خلاله بمشاكلها الداخلية وتوقفت عن التوسع الخارجي بل خسرت اقاليم في عدد من الجهات الداخلية . ومن اهم خصائص ذلك الصراع غياب العنف (١) .~~

ان إلغاء الملكية لم يكن يعني تحولا نحو الديمقراطية بقدر ما كان ترسيخاً للنظام الأوليكراركي « حكم الأقلية » . فالملوك المتأخرون كانوا يحاولون استرضاء الطبقات الفقيرة التي تشمل الاكثرية لحاجتهم لها في حالات الحزب ، لذلك فإن إلغاء الملكية معناه فقدان تلك الطبقات كثير من مكاسبها اذ وجدت تلك الطبقة نفسها خاسرة من الجوانب السياسية والقانونية والاجتماعية ومن جانب حق التملك

من الناحية السياسية لم يكن للعامة الحق في اشتغال أي منصب حكومي ، ولم يكن لهم في الجمعية إلا السيطرة على اقلية الاصوات عند التصويت وفي احسن الاحوال كانوا يصوتون على المقترحات والمشاريع التي يقدمها النبلاء ويعملون على انتخاب اعضاء الطبقة النبيلة لاشتغال المناصب كما كان لمجلس الشيوخ برغم ذلك حق نقض أي قرار يصدر من الجمعية كما كان من حق القناصل في المرحلة النهائية العمل على افشال أي نصير للعامة .

(١) عن هذا الصراع راجع . Betten, op. cit. pp. 329

ولم تكن خسارة العامة من الناحية القانونية بأقل من النواحي السياسية
ففي الوقت الذي كان فيه الملوك حريصين على تحقيق العدالة تجاه العامة
أصبحت القوانين في عصر الجمهورية ملكاً للنبلاء إذ كانت القوانين غير
مدونة وغير معروفة من قبل العامة فكان من السهل على النبلاء ماداموا هم
المسؤولين عن تفسير القوانين ، الحصول على امتيازات عند حدوث أي نزاع
لأنهم أما من ناحية القوانين المتعلقة بالدين فقد كانت قاسية للغاية ؛ إذ وجد النبلاء
في هذا الجانب وسيلة لتعسفهم . فقد يضطر المزارعون ، نتيجة للظروف
الاقتصادية الصعبة إلى الاستدانة بفوائد كبيرة من النبلاء أو الحصول على
سلف من الحبوب والمواشي من جيرانهم كبار الملاكين وغالباً ما كان ضمان
الدين الأرض أو الشخص مالك الأرض وفي حالة العجز عن الدفع فإن المدين
يصبح هو وأرضه من ضمن أملاك الدائن ويكره على زراعة أرضه (التسي
لم تعد ملكه) وان رفض القبول بهذه النتيجة يقتل (١) .

ولم تكن العامة تحصل على حصتها من الأراضي العامة التي تسيطر عليها
روما في حملات التوسع ؛ إذ كانت روما تسيطر على نصف أو ثلث أراضي
المدن المعادية ، وكان الملوك يوطنون من لأرض لهم من العامة بمستعمرات
في تلك الأراضي في حين يترك الجزء الأكبر منها مراعي عامه .

أما في عصر الجمهورية فقد توقفت عملية توطين الفقراء من العامة
وأصبح استغلال تلك الأراضي من حق النبلاء فقط . وكانت أعباء الحرب
تقع على كاهل صغار المزارعين أكثر من كبار مالكي الأرض فحين كان
المزارع يستدعي للقتال يترك أرضه عرضة للخراب إذ لم يكن لديه عيبس
ليزرعوها لذلك من المحتمل أن يعود من القتال ليجد محاصيله قد اتلفت
أو ليجد منزله قد تحول إلى رماد . وفضلاً عن ذلك فإن العامة لم يكن يسمح

(1) Betten, Op. cit. pp. 329-330.

لها بالاختلاط عن طريق الزواج بالنبلاء (١) . لذلك خاضت العامة صراعاً متواصلاً من أجل الحصول على حقوقها .

بدأ الصراع بمطالبة العامة بتصحيح تلك الأوضاع ولا سيما فيما يتعلق بقوانين الدين والمشاركة في استغلال أراضي الدولة وأولى قادة العامة اهتمامهم بالمساواة بالنبلاء في قوانين المحاكمات والعدالة الاجتماعية والمساواة في الإدارة السياسية وكانت مطالبات العامة بهذه الأمور تدريجية .

كيف بدأ الصراع؟
بدأ الصراع بامتناع العامة المثقلة بالديون عن المساهمة في حرب روما

ضد الفولشيين حتى تمكن أحد القنصلين من كسبهم بالعنف عن جميع

السجناء الذين سجنوا بسبب الديون إلا أنه بعد عودة الجيش منتصراً نقض

القنصل الآخر قرار زميله واعتقل المدنيين ثانية . وحين تجددت الحرب

امتنع العامة ثانية عن المساهمة بها إلا أن مانيوس فاليريوس انتخب دكتاتوراً

وقد عرف عنه تعاطفه مع العامة فأولته ثقته . إلا أن فاليريوس عجز بعد

انتصار الجيش عن اقناع مجلس الشيوخ بمقترحاته بأصلاح القوانين . الأمر

الذي دفع أبناء العامة الذين كانوا آنذاك في تنظيماتهم العسكرية خارج أبواب

روما إلى التجمع على تل قريب منها والتهديد ببناء روما جديدة مما أشعر

النبلاء بخطورة القرار فجرت مفاوضات عادت العامة بعدها إلى روما (٢) .

وبرز نتيجة هذا الصراع عدد من الأبطال الذين قسّادوا العامة وكان

سبوريوس كاسيوس أول هؤلاء إذ كان قد قدم لروما بأعباءه قنصلاً ، خدمة

كبيرة في حربها وسياستها وحاول تنظيم استغلال أراضي الدولة فأتهمه

النبلاء بمحاولة كسب تعاطف الفتراء ليعلن نفسه دكتاتوراً فادين نتيجة

(1) Ibid, p. 331.

(2) Ibid, p. 332.